مفهوم الاستطاعة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

Human capacity in the school of Ahl al-Bayt

م.د. محمد عيدان محمد [1]
Dr. Mohammed Idan Mohammed

الخلاصة

الاستطاعة هي القدرة على الفعل وقت الفعل مع الفعل أي انها مقدمة للفعل بمعنى عزيمة على احداث الفعل وهو التوفيق الالهي فلابد أن تتقدم الاستطاعة على الفعل، إذ أن العبد لا يكون مكلفاً للفعل إلّا بالاستطاعة التي جعلها الله فيه. فقضية الاستطاعة من الامور التي تخص أفعال الانسان واستطاعته أي قدرته على الفعل وهو متعلق بعدله تعالى وهذا ما سنبحثه في ضوء مدرسة أهل البيت، وقد جاء البحث مقسماً على أربعة مباحث على النحو الاتي:

المبحث الاول: الاستطاعة:لغة واصطلاحا:

المبحث الثاني:الاستطاعة عند ائمة اهل البيت:

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الاسلامية:

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير:

Abstract

Ability is the ability to act as a verb with the verb to be submitted to the determination of an act in the sense of causing a divine act of conciliation must be possible to apply the act, since the slave is not expensive to do, but make it possible to that of God in it. The issue of possible things that pertain to the actions of man and he could no ability to act and is related to his justice and this is what the Almighty Senbgesh in light of the school household, came Search divided on four topics as follows:

١- المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار.

http://abu.edu.iq

First topic: possible: the language and idiomatically
The second topic: possible when Ahlulbait
The third topic: possible when the Islamic Teams
Section IV: Ability wrote in explanation.

المقدمة

الله عز وجل عدل كريم، خلق الخلق لعبادته وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وعمهم بهدايته، بدأهم بالنعم وتفضل عليهم بالإحسان، لم يكلف أحدا دون طاقة، ولم يأمره إلا بما جعل له عليه الاستطاعة،فقضية الاستطاعة من الامور التي تخص أفعال الانسان واستطاعته أي قدرته على الفعل وهو متعلق بعدله تعالى، وتكمن أهمية البحث في ابراز الجهد الفكري والعقائدي الذي يتمتع به أهل البيت واتباعهم في مسألة الاستطاعة، وهذا ما سنبحثه في ضوء مدرسة أهل البيت، وقد جاء البحث مقسماً على أربعة مباحث على النحو الاتي:

المبحث الاول: الاستطاعة:لغة واصطلاحا

المبحث الثاني:الاستطاعة عند ائمة اهل البيت:

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الاسلامية:

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير:

المبحث الاول: الاستطاعة:لغة واصطلاحا

عُرّفت الاستطاعة لغة بأنها: هي الطاقة، كما ذكر ذلك ابن منظور، إلا أن الاستطاعة للإنسان خاصة، والاطاقة عامة،تقول: الجمل مطيق لحمله، ولا تقل مستطيع، فهذا الفرق بينهما [٢]، وأراد بها الطريحي في مجمعه بـ(الإطاقة والقدرة)[٣]

وقال الراغب الاصفهاني:هي اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من أحداث الفعل [٤]

أما اصطلاحاً: فالاستطاعة: هي تمكين المكلف من الفعل ورفع الموانع وتقوية دواعيه التي على وجه لا يبقى له محذور في أن يفعله [٥]، وفي ذلك يقول الإمام الصادق -عليه السلام-:(يكون العبد مستطيعاً بعد اربع خصال: ان يكون مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عزو جل).[٦].

الإستطاعة هي قدرة الإنسان على الفعل مع صحة الفعل منه ومن غيرها، فإنه غير قادر علىٰ الإتيان به مع مساواتهما في جميع الصفات[٧].

وعرّفها الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): هي القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل[٨].

٢- لسان العرب: ابن منظور ٨/ ٢٤٢.
٣- مجمع البحرين:الطريحي ٣/ ٧١.
٤- مفردات غريب القرآن:الراغب الاصفهاني:٣١٠.
٥- رسائل المرتضى: الشريف المرتضى ٢/ ٢٦٤.
٦- بحار الأنوار:المجلسي ٥/ ٨
٧- الاقتصاد: الطوسي: ١٠٣.

http://abu.edu.iq

وبهذا يتبين أن الإستطاعة هي: القدرة على الفعل،التي يجب توافرها قبل إحداث الفعل وهو ما ذهب الكراچكي بقوله: «إن القدرة على الفعل توجد قبله وإن الفعل يوجد بعدها»[٩]، وهو ما عليه متكلمو الإمامية[١٠].ووافقهم بعض الزيدية[١١]. والمعتزلة[١٢].

أما الأشعري فيقول: إن الإنسان يستطيع باستطاعة هي غيره، وذلك يكون تارة مستطيعاً وتارة عاجزاً، ويكون مستطيعاً بمعنى هو غيره[١٣].

المبحث الثاني:الاستطاعة عند ائمة اهل البيت:عليهم السلام

الاستطاعة من المباحث المهمة في الفكر الاسلامي ولاسيما في فكر اهل البيت –عليهم السلام– وسنتناول في هذا المبحث أهم ما قال به أهل البيت –عليهم السلام–وعلى النحو الاتي:

١– حين سئُل أبو عبد الله –عليه السلام–: هل للعباد من الاستطاعة شيء ؟ فقال –عليه السلام–:((اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم)) فقلت: وما هي ؟ قال–عليه السلام–: ((الآلة، مثل الزاني اذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى، ولو أنّه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه اذا ترك))، ثم قال –عليه السلام–:((ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً)) قلت: فعلى ما يعذبه ؟ قال–عليه السلام–:((بالحجة البالغة والآلة التي ركّبها فيهم)).[١٤]

وبناءا على ذلك أن فعل العبد لا يتم إلا من خلال ما أودعه الله فيه من القوة والقدرة على القيام به وهي الآلة، أي أن لكل فعل يقوم به الإنسان سواء كان قولاً أو عملاً لا يكون إلا بواسطة.

٢– أما ما ذهب اليه الإمام الرضا –عليه السلام– في معنى الاستطاعة يتبين عبر حديثه حين سُئل عنها قال: ((يستطيع العبد بأربع خصال: أن يكون مُخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وإرادة من الله)) قال: قلت: جُعلت فداك، فسّر لي هذا. قال –عليه السلام–:((أن يكون العبد مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، يريد يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها، فأما أن يعصم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف –عليه السلام–، أو يخلي بينه وبين إرادته فيزني فيسمى زانيا ولم يطع الله بإكراه ولم يعصه بغلبه).[١٥]

يتبين لدى الباحث أن معنى الاستطاعة عند الإمام الرضا –عليه السلام– عبر الرواية هي آلة مقرونة بالفعل فالعبد يوصف بالاستطاعة وقت فعل الفعل إن فعل ذلك الفعل، فان لم يفعل في ملكه لم يستطع أن يفعل فعلا لم يفعله، أي أن الفعل مقدر في ملك الله قبل فعله، وهو متوقف على إرادة العبد ((لم يطع الله بإكراه ولم يعصه بغلبه)) وقول الإمام الرضا –عليه السلام–الذي سبق ذكره دليل على ذلك.

٨– التعريفات: الجرجاني: ١٦.
٩– كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١٠٦.
١٠– ينظر: أوائل المقالات:المفيد: ١١٣، جمل العلم والعمل: الشريف المرتضى: ٣٣، الاقتصاد: الطوسي: ١٠٣، الإلهيات:السبحاني ١ / ٣١٣
١١– ينظر: مقالات الإسلاميين:الأشعري: ٧٢.
١٢– ينظر: شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار: ٣٦٣، مذاهب الإسلاميين:بدوي عبد الرحمن: ٤٦٢.
١٣– اللمع:الأشعرية: ٥٨، ينظر: المواقف:الايجي: ١٥١.
١٤– الكافي:الكليني ١/ ١٦٢ كتاب التوحيد، باب الاستطاعة،ح ٣.
١٥– الأصول من الكافي الكليني ١ / ١٦٠ كتاب التوحيد،باب الاستطاعة،ح١.

http://abu.edu.iq

٣- سُئل الإمام أبو عبد الله الحسين -عليه السلام- عن الاستطاعة من احد أصحابه فقال له: ((أتستطيع أن تعمل ما لم يكن؟)) قال: لا. قال-عليه السلام-: ((فتستطيع أن تنتهي عما قد يكون؟)) قال: لا. قال: فقال له أبو عبد الله -عليه السلام-: ((فمتى أنت مستطيع ؟))قال: لا ادري.قال: فقال له أبو عبد الله-عليه السلام- ((إن الله خلق خلقا فجعل فيه آلة الاستطاعة، ثم لم يُفوَض إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فان لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلا لم يفعلوه ؛لأن الله اعز من أن يضاد في ملكه احداً)).[١٦]

٤- يقول الإمام علي الهادي -عليه السلام-:((ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكنا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله، وتعبدنا بها، على ما شهد به الكتاب ودان به الائمة الأبرار من آل الرسول. فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١٧]،وقال:﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[١٨]،وقال:﴿الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[١٩].

وقال في الفتن التي معناها الاختبار:﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾[٢٠] وقال في موسى:
﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾[٢١] وقال موسى:﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾[٢٢] أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض، ويشهد بعضها لبعض. وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار فقوله:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[٢٣]وقوله:﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[٢٤] وقوله:﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾[٢٥] وقوله:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٢٦]وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار،وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى: إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعبا، وبذلك اخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾[٢٧] فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض، وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول)[٢٨].

يتبين لنا ان معنى الاستطاعة التي يملكها الفرد، والتي هي المحور الرئيس في الاختبار الإلهي للعباد والأساس الذي تُبنى عليه نظرية(الأمر بين الآمرين).

١٦- المصدر نفسه ١/ ١٦١،ح٢.
١٧- محمد: ٣١.
١٨- الأعراف:١٨٢.
١٩- العنكبوت:١-٢.
٢٠- ص: ٣٤.
٢١- طه: ٨٥.
٢٢- الأعراف:١٥٥.
٢٣- المائدة ٤٨.
٢٤- آل عمران:١٥٢.
٢٥- القلم: ١٧.
٢٦- الملك: ٢.
٢٧- المؤمنون: ١١٥.
٢٨- تحف العقول:ابن شعبة الحراني: ٤٧٣ -٤٧٥.

http://abu.edu.iq

٥-حين سُئل الإمام الكاظم (العالم)-عليه السلام-من قِبَل رجل: أليس أنا مستطيع لما كُلِّفت؟، فقال الإمام -عليه السلام-:((ما الاستطاعة عندك؟)) قال: القوة على العمل، فقال -عليه السلام-: ((قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة)) قال الرجل: فما المعونة ؟ قال -عليه السلام-:((التوفيق)) قال له الرجل: فلمَ إعطاء التوفيق ؟ قال-عليه السلام-: ((فلو كنت موفقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يُعطي التوفيق فلا يكون عاملاً)) ثم قال -عليه السلام-: ((إخبرني عنك، من خلق فيك القوة؟)) قال الرجل: الله تبارك وتعالى، قال العالم: ((هل تستطيع بتلك القوة دفع الضرر عن نفسك واخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى ؟)) قال: لا، قال -عليه السلام-: ((فلِمَ تنتحل ما لا تقدر عليه؟))،ثم قال-عليه السلام-: ((أين أنت عن قول العبد الصالح:﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ [٢٩]﴾))[٣٠]

وعلى هذا أن الاستطاعة الممنوحة للعبد لا يكون لها أي دور وفاعلية إلا اذا تكللت بالتوفيق الإلهي ؛لان (التوفيق عناية الرحمن)[٣١]؛ ولهذا فقد ربط الائمة-عليهم السلام- الاستطاعة بالتوفيق الإلهي،فالأمر واضح في أن الإمام يقصد أن الذي يكون في إرادة الإنسان بالاستطاعة التي من خلالها يدير أموره ويوائم بين الأسباب التي تعود عليه بالنفع إنما هي بتوفيق وعون من الله عزوجل.

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الاسلامية:

اتفق المتكلمون على معنى الاستطاعة وهو القدرة وهذا ما عليه الشيخ المفيد[٣٢] والطوسي[٣٣] وبعض الزيدية بخلاف الاشعرية[٣٤] الذين قالوا بمقارنة الاستطاعة بالفعل.[٣٥]

وقد إختُلِفَ في الاستطاعة التي في الإنسان، هل هي متقدمة على الفعل أو مع الفعل ومقارنة له ؟ فالامامية يشترطون القدرة على الفعل —من حيث التوقيت- قبل أحداث المقدور [٣٦]، أي أن الاستطاعة والقدرة في الإنسان متقدمتان على الفعل، ووافقهم على هذا المعتزلة والزيدية [٣٧]

وروى الكراجكي حديثاً عن شيخه المفيد أثبت فيه إمكان تقدم القدرة على الفعل، والرد على مزاعم المجبرة بقوله: «إن متكلمين أحدهما عدلي، والآخر جبري كانا كثيراً ما يتكلمان في هذه المسألة وإن الجبري أتى منزل العدلي، فدق الباب عليه، فقال العدلي: من ذا؟ قال الجبري: أنا فلان. فقال العدلي: أدخل، قال له الجبري: إفتح لي الباب حتى أدخل. قال العدلي: أدخل حتى أفتح فأنكر هذا عليه وقال له: لا يصحُ دخولي حتى يتقدم الفتح، فوافقه على قوله في القدرة والفعل، وأعلمه بذلك وجوب تقدمها عليه فانتقل

٢٩- هود: ٨٨ وهو قول النبي شعيب-عليه السلام-:﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

٣٠- بحار الأنوار:المجلسي ٥/ ٤٢.

٣١- عيون الحكم والمواعظ:كافي الدين الليثي: ٤١.

٣٢- أوائل المقالات:المفيد،، ص٢١٣.

٣٣- الاقتصاد :الطوسي، ص١٠٤.

٣٤- مقالات الإسلاميين:الاشعري ١ /١٤.

٣٥- اللمع:الأشعري:٥٥.

٣٦- ينظر: أوائل المقالات:المفيد: ١١٣، الاقتصاد:الطوسي: ١٠٣.

٣٧- مقالات الإسلاميين:الأشعري ١/ ١٤٠.

http://abu.edu.iq

الجبري عن مذهبه وصار إلى الحق»[٣٨]. أما الاشاعرة فقالوا بمقارنة الاستطاعة للفعل [٣٩].وهم على أقوال:[٤٠]

١-إن الله تعالى خلق فعل العبد وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع وإنما يضاف إليه أنه فعله كما يضاف إليه لونه وحياته.

٢- إن الله تعالى خلق فعل العبد وأن العبد فعله باستطاعة حدثت له في حال الفعل لا يجوز أن تتقدم الفعل.

فعلى على هذا الاساس يرى الاشاعرة إن الاستطاعة مع الفعل وأن العبد يكتسب فعله أي إن الإنسان يستطيع باستطاعة غيره [٤١]

ورد قول الاشاعرة أنها لو كانت مع الفعل كان الكافر غير قادر على الإيمان لمكان الإيمان موجودا منه على هذا المذهب، ولو لم يكن قادرا على الإيمان لما حسن أن يؤمر به، ويعاقب على تركه، كما لا يعاقب العاجز عن الإيمان بتركه ولا يؤمر به ولا فرق بين العاجز والكافر على مذاهبهم لأنهما جميعا غير قادرين على الإيمان ولا متمكنين منه. شرط توجه الأمر بالاستطاعة له، فلولا أنها متقدمة للفعل وأنه يكون مستطيعا للحج وإن لم يفعله لوجب أن يكون الأمر بالحج إنما توجه إلى من فعله ووجد منه وهذا محال[٤٢].

فالاستطاعة في الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقدم عليه أخرى، خلافا للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقا[٤٣]

ونقل عنه بدوي عبد الرحمن قوله: استحالة تقدم الإستطاعة على الفعل[٤٤].

وقد رد على مزاعم المجبرة التي ترى: أن القدرة على الفعل توجد هي والفعل معاً ولا يتأخر الفعل عنها بالأدلة الآتية:

١- إن القدرة متقدمة في الوجود على الفعل لحاجة الفعل إليها ويخرج بها من العدم إلى الوجود. فمتى وجدت والفعل موجود فلا حاجة لوجودها.

٢- القدرة لو كانت مع الفعل لكان الكافر غير قادر على الإيمان، لأنه لو قدر عليه لكان موجوداً منه على هذا المذهب، ويكون مؤمناً في حالة كفره، وهذا فاسد.

٣- من كان في يده شيء فألقاه، إن استطاع الإلقاء لا تخلو من حالتين: أما أن تأتيه والشيء في يده، أو تأتيه وهو خارج عن يده، فإن كانت تأتيه والشيء في يده فقد صح تقدم القدرة على الإلقاء وهو المطلوب.

وإن كانت تأتيه والشيء خارج عن يده، ملقى عنها فقد أتت في حال الغنى عنها[٤٥].

٣٨- كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١١.
٣٩- اللمع:الأشعري: ٥٥.
٤٠- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ١٨٢/٢
٤١- ينظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري،٧٢-٧٣، وينظر: المواقف، الايجي ٧١١/٣.
٤٢- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ١٤٦/١
٤٣- ينظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ السبحاني،٣٨١.
٤٤- مذاهب الإسلاميين: ٤٦٣.

http://abu.edu.iq

وعلى هذا رد على المجبرة أن القدرة التي أعطاها الله ﷻ لا تصلح إلّا لشيء واحد أما الإيمان أو الكفر والدليل على ذلك: «إن القدرة التي أعطاها الله تعالى للعبد هي قدرة على الإيمان والكفر وأنه يفعل بهما أيهما شاء باختياره، ولا يصح أن يفعلها معاً في حالة واحدة لتضادهما. فحصل من هذا أن الذي أمره الله بالإيمان ونهاه عن الكفر قادر على أمره به ونهاه عنه، وصح أنه سبحانه لا يكلّف العبد إلّا بما يستطيعه»[٤٦]

فيتبين لنا أن القدرة التي أعطاها الله تعالى للإنسان قدرة واحدة، قدرة على الإيمان والكفر. نذكر دليلين ذكرهما الكراجكي على ما تقدم:

الاول: إن الكفر مأمور بالإيمان، فلو كانت قدرة الإيمان لست معه، كان قد كلف ما لا يطيقه. وهذا لايجوز.

والثاني: إذا كانت القدرة معه فلا يجوز أن تكون غير قدرة الكفر الحاصلة له لما في ذلك من إجتماع الضدين. فعلم أنها قدرة واحدة تصلح للضدين، على أن يفعل بها ما يتعلق به اختيار المكلّف منها، حيث أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة تصلح للكفر وتصلح للطاعة، مثل السيف الذي يعطيه السيد لعبده ليقتل به أعدائه، وهو يصلح أن يقتل به أوليائه[٤٧].

ومما تقدم يظهر أن القدرة على الفعل هي الإستطاعة توسعاً ومجازاً. [٤٨].يقال للمريض الذي يجهده الصوم: إنّك لا تستطيع الصيام، وهو في الحقيقة يستطيعه، ولكن بمشقة تدخل عليه، وثقل يناله فهذا يدل لمن لا يفعل شيئاً لثقله على قلبه ونفور طبعه منه أنّك لا تستطيعه. وإن كان في الحقيقة مستطيعاً له.

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير

أشار المفسرون الى عقيدة الاستطاعة في كثير من الآيات التي تعرضت لها:

فقد ذكر صاحب مقتنيات الدرر:أن الاستطاعة الَّتي هي شرط لوجوب الفعل فهي بهذا المعنى لا الاستطاعة الَّتي هي شرط حصول الفعل فهي لا تكون إلَّا مع الفعل؛لأنّها علَّة وجود الفعل فلا يكون إلَّا معه ولا تتحقّق إلَّا بتحقّق الفعل فالاستطاعة الأولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل[٤٩]كما في قولـــه تعـــالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٥٠]لان الله تعالى أوجب الحج على المستطيع ومن لا يستطيع، فلا يجب عليه وذلك لا يكون إلا قبل فعل الحج، كذلك الصوم والصلاة[٥١] فكأنه اراد

٤٥- كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١٠.
٤٦- كنز الفوائد: الكرجكي ١ / ١٠٦.
٤٧- المصدر نفسه ١ / ١٠٩ – ١١٠.
٤٨- المصدر نفسه ١ / ١١٧.
٤٩- ينظر: تفسير مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢ /٢٤١.
٥٠- آل عمران/ ٩٧.
٥١- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي ٥٣٨/٢، ينظر: تفسير مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢ /٢٤٢.

http://abu.edu.iq

ان يقول أن هنالك استطاعتان مرة مقدمة على الفعل ومع الفعل توجب وقوع الفعل فاذا تحققت تحقق معها الفعل، لان الوجوب قبل الفعل قادر، واذا كان غير قادر لا يجب علية الفعل.

وفي تفسير قوله تعالى فيما حكاه عن العالم الذي يتبعه موسى، حيث قال له موسى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾[٥٢].

والمراد من الآية إنك لا تصبر ولا يخف عليك، وإنه يثقل على طبيعتك فعبّر عن نفي الصبر بنفي الاستطاعة[٥٣]، وإلا فهو قادر مستطيع فيدل على ذلك قول موسى في جوابه له: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾[٥٤].

ولم يقل: إن شاء الله مستطيعاً، فدل جوابه على أن الإستطاعة المذكورة في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه مجازاً وعلى هذا المعنى [٥٥] قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾[٥٦]

فهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تأملها وتدبرها اجروه مجرى من لا يستطيع السمع، كما يقال لمن عهد منه العناد، واستثقال استماع الحجج والبيّنات، ما يستطيع استماع الحق، وما يطيق أن يذكر له[٥٧].

كقول الأعشى:

ودّع هريـــرة إنّ الركـــب مرتحـــل وهـــل تطيـــق وداعـــا أيّهـــا الرجـــل

وقد علمنا أنّ الأعشى كان يقدر على الوداع، وإنّما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهة.[٥٨]

وذكر مغنية في تفسيره وقال: هذا تعليل لمضاعفة العذاب، وان الله انما يضاعفه لهم؛ لأنهم كانوا في الحياة الدنيا لا يطيقون سماع الحق، مع انهم قادرون على سماع الحق ولا النظر إليه لإغراقهم في الكفر والعناد.[٥٩]

وعلل الطباطبائي ذلك بقوله: إنهم لم يكفروا ولم يعصوا لظهور إرادتهم على إرادة الله ولا لان لهم أولياء من دون الله يستظهرون بهم على الله بل لانهم ما كانوا يستطيعون ان يسمعوا ما يأتيهم من الانذار والتبشير من ناحيته أو يذكر لهم من البعث والزجر من قبله وما كانوا يبصرون آياته حتى يؤمنوا بها كما وصفهم.[٦٠] في قوله: ﴿ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[٦١]

٥٢- الكهف/٦٦-٦٧.
٥٣- ينظر: الميزان: الطباطبائي ١٣/٣٤٢.
٥٤- الكهف/ ٦٩.
٥٥- ينظر: كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١٨.
٥٦- هود/ ٢٠.
٥٧- ينظر: كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١٨.
٥٨- ينظر: مقتنيات الدرر: علي الحائري ٥/٣٠٥
٥٩- ينظر: الكاشف: محمد جواد مغنية ٤/٢٢١.
٦٠- ينظر: الميزان: الطباطبائي ١٠ /١٩١.
٦١- الأعراف / ١٧٩.

http://abu.edu.iq

واشار الشيرازي الى انهم ما كانوا يستطيعون السمع،أي استماع الحق، فهذا التعبير يشير إلى الحالة الواقعية التي هم فيها، وهي أن استماع الحق كان عليهم صعبا وثقيلا إلى درجة يتصور فيها أنهم فقدوا حاسة السمع، فلا قدرة لهم على السمع،وهذا التعبير ينسجم تماما مع قولنا مثلا: إن الشخص العاشق لا يستطيع أن يسمع كلاما عن عيوب معشوقه، وبديهي أن عدم استطاعة دركهم الحقائق كانت نتيجة لجاجتهم الشديدة وعدائهم للحق والحقيقة، وهذا لا يسلب عنهم المسؤولية؛ لأنهم هم السبب في ذلك، وهم الذي مهدوا له، وكان بإمكانهم أن يبعدوا عنهم هذه الحالة، لأن القدرة على السبب قدرة على المسبب. (٦٢)

الخاتمة

بعد الوصول إلى آخر المطاف في هذا البحث المتواضع، أرجو من الله أن أكون قد وُفقت فيها لإبراز أهم النقاط التي تخص مفهوم الاستطاعة في مدرسة اهل البيت، أخلص اهم النتائج التي توصل اليها البحث وهي على النحو الآتي:

١. ان الاستطاعة هي القدرة على الفعل وقت الفعل مع الفعل وهو ما تضمنه قول الامام الحسين – عليه السلام –أي انها مقدمة للفعل بمعنى عزيمة على احداث الفعل وهو التوفيق الالهي هذا من جهة، في حين أن الاشاعرة يرون أن الاستطاعة والفعل شيء واحد فان استطاع فعل، وفساد قول من قال: إنّ الاستطاعة مع الفعل لأنّ اللّه أوجب الحجّ على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلّا قبل فعل الحجّ.(٦٣) فلابد أن تتقدم الاستطاعة على الفعل، إذ أن العبد لا يكون مكلفاً للفعل إلّا بالاستطاعة التي جعلها الله فيه.

٢. إنَّ المفسرين قالو ان الاستطاعة الواردة في النص القرآني هي عدم قدرة الكافرين على استماع الحق لان القدرة موجودة عند الكافر قبل استماع الحق ولكنة رفض استماع الحق بغَية وعناده من جهة اخرى، فبوجود الاستطاعة والقدرة على الفعل يتحقق التكليف ووجه الاستدلال في ذلك قول الإمام الصادق–عليه السلام–: ((لا يكون العبد فاعلاً ولا متحركاً إلّا والاستطاعة معه من الله عزّ وجلّ، وإنّما وقع التكليف من الله عزّ وجلّ بعد الاستطاعة، فلا يكون مكلفاً للفعل إلّا مستطيعاً))(٦٤).

المصادر والمراجع

القران الكريم

١– الأصول في الكافي:، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسماعيل لكليني (ت: ٣٢٨ هـ)، تح: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات/بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢– الأصول والفروع من الكافي، أبو جعفر،محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني،(ت: ٣٢٨–٣٢٩هـ):،تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية،طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٦٢– ينظر: الامثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٥٠٧/٦.
٦٣– ينظر: مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢٤٢/٢.
٦٤– لتوحيد: الصدوق، باب بيانه في الاستطاعة: ٣٤٧، ح٢.

http://abu.edu.iq

٣- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق -عليه السلام-، قم،الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
٤- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: أبو جعفر،محمد بن الحسن الطوسي،(ت: ٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بيروت،ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥- الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، جعفر السبحاني،المركز العلمي للدراسات الإسلامية/قم،ط١، ١٤٢٠هـ.
٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان،د.ط، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
٧- أوائل المقالات: أبو عبد الله، محمد بن النعمان العكبري المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تح: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الاطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي،(ت: ١١١١هـ):،مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٩- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت:٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامل، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة:الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٠- تحف العقول عن آل الرسول:، أبو محمد حسن بن علي الحسين بن شعبة الحراني (ت: ٣٨١ هـ)،تح: علي أكبر الغفاري.
١١- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٢- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)،دار العلم للملايين، بيروت – لبنان،الطبعة: الثالثة، ١٩٨١م.
١٣- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي،(ت:١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٤- التوحيد: محمد بن علي بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٥- جمل العلم والعمل:، أبو القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦ هـ)، تح: رشيد الصفار، مطبعة النعمان /النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٧هـ.
١٦- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)تح: السيد أحمد الحسيني / إعداد: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم – قم،١٤٠٤هـ.
١٧- رسائل المرتضى، ابو القاسم، علي بن الحسين، الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، تح: احمد الحسين، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.
١٨- شرح الأصول الخمسة:القاضي عبد الجبار بن أحمد الاسترابادي المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ)، تح: أحمد بن الحسين بن بني هاشم، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

http://abu.edu.iq

١٩- عيون الحكم والمواعظ كافي الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الواسطي الليثي، (من أعلام ق٦هـ)،، تح: حسين الحسيني البيرجندي،دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ.
٢٠- كنز الفوائد:،محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت: ٤٤٩هـ)، الناشر: مكتبة المصطفوي، قم، مطبعة غدير، ط٢، ١٣٢٢هـ.
٢١- لسان العرب: أبو الفضل،جمال الدين، محمد بن مكرم الأفريقي ابن منظور،(ت: ٧١١هـ)،،الناشر: مؤسسة أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.
٢٢- اللّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، دار الكتب العلمية /بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.
٢٣- مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي(ت: ١٠٨٥هـ) تح:أحمد الحسني، الثقافة الإسلامية، إيران، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.
٢٤- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين / بيروت،ط٢، ١٤٢٦ هـ.
٢٥- مفردات غريب القران:، أبو القاسم،الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني،(ت:٥٠٢هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط١٤٠٤،٤هـ.
٢٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، مطبعة دار النشر فرانز شتايز، ط ٣، ١٤٠٠ هـ.
٢٧- مقتنيات الدرر: علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)،تح:الشيخ محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، ايران.
٢٨- المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي (ت: ٧٥٦ هـ)، مكتبة المتنبي / القاهرة (د، ت).

http://abu.edu.iq